

سلسلة بحث وتأليف

(١)

فقهاء أهل الكنية في السبعة

سيفمان بن يسأد

تأليف

عبد المنعم الهاشمي

والرابع عشر

رشن - بيروت

١٤٢٣ هـ - ١٩٩٣ م

www.dawahmeme.com

(۶) سکھان بن پسکار

- ١ -

إطار عام

هذا الرجل كان واحداً من سبعة فقهاء نقلوا فقه الصحابة
رضاوان الله عليهم وعاشوا في المدينة، ونقلوا إلى تلاميذهم
علم وفقه دينهم. وقد أجمع الرواة على أن سليمان واحد من
هؤلاء السبعة الأفاضل ممن يعدون أوائل التابعين، وقد
حصرهم الشاعر فقال:

إذا قيلَ مَنْ فِي الْعِلْمِ سَبْعُ أَبْحَرِ
رَوَايَتُهُمْ لَيْسَتْ عَنِ الْعِلْمِ خَارِجَةٌ
فَقُلْ هُمْ سَعِيدُ اللَّهِ عُرُوْةُ قَاسِمٌ
سَعِيدُ أَبْو بَكْرٍ سُلَيْمَانُ خَارِجَةٌ^(١)

روى سليمان فقه الصحابة، وخرج عليه أحباباً بالرأي إن لم
يجد، وتابع هذا الفقه في منهاجه.

ورغم أن سليمان بن يسار كان أحد فقهاء المدينة السبعة؛ إلا
أنه لا يجوز لأحد أن يقول إن الفقه والسنّة كانوا في المدينة

(١) أعلام المؤقبين ج. ١

ووحدها في كل الوجوه، فإن أصحاب رسول الله ﷺ قد تفرقوا في الأنصار، وحيثما حلوا كانوا مثلاً وقدوة للناس أجمعين، ولكن المدينة كانت أكثر حظاً من غيرها في الفقه والعلم، فقد كان بها من الصحابة والتابعين العدد الأوفر.

ولذلك عندما جاء عمر بن عبد العزيز للخلافة أمر بتفريق علماء المدينة من الأنصار ليعلموا الناس فقه دينهم، ويرشدوهم، ويعلّموهم حدود الإسلام وشرائعه، فانتشر الفقه وعم الإرشاد كل الناس، وكان سليمان بن يسار واحداً من تعلم منه عدد كبير من علماء المدينة هؤلاء وانتشروا في أرجاء الدولة الإسلامية؛ ولأهمية فقه وعلم هؤلاء فقد أمر عمر بن العزيز أيضاً بأن تدوّن السنة المشهورة في المدينة.

وكتب إلى قاضيها محمد بن أبي بكر بن حزم كتاباً قال فيه: «أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة أو نحوها، فاكتبه لي فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء».

ومات عمر بن عبد العزيز قبل أن تصل كتب السنة التي كتبها له هذا الرجل عن مشهور السنة في المدينة وما جاء من روایات لعلمائها وفقهائهما وكان بطبيعة الحال سليمان بن يسار واحداً منهم.

هذا الذي ذكرناه يعتبر إطاراً عاماً وصورة سريعة، سنحاول إلقاء الضوء عليها وتسمّع فيها ونحن نعيش في الصفحات التالية سيرة سليمان بن يسار أحد فقهاء المدينة السابعة.

- ٢ -

نَسْبَهُ

هو سليمان بن حُرَيْدَةَ بْنِ جُونَ بْنِ أَبِي الْجَوْنَ بْنِ هَنْقَذَ بْنِ
رَبِيعَةَ بْنِ أَصْرَمَ الْخَزَاعِيِّ. وَقَدْ ثَبَّتَ نَسْبَهُ لِخَزَاعَةَ لَا اخْتِلَافَ
فِي ذَلِكَ^(١).

كَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَسَارًا وَسَمَّاهُ الرَّسُولُ ﷺ سَلِيمَانَ.
رُوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَبَيرٌ بْنُ مَطْعَمٍ.
وَرُوِيَّ عَنْهُ تَلَامِيذَهُ وَمِنْهُمْ أَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ
عُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَسَارٍ وَأَبُو الضَّحْيَ^(٢).

وَرُوِيَّ أَيْضًا عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابَتَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَأَبِي
هَرِيرَةَ وَأَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ هِيمُونَةَ بُنْتَ الْحَارِثَ، وَعَائِشَةَ، وَأَمَّ
سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- ٣ -

صَفَاتُهُ وَفَضَائِلُهُ

أَجْمَعَ الرُّوَاةُ وَالْمُؤْرِخُونَ عَلَى صَفَاتٍ كَثِيرَةٍ لِسَلِيمَانَ أَوْلَاهَا
أَنَّهُ «كَانَ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ، وَأَحْسَنَ النَّاسَ وِجْهًا»^(٣).

(١) الطبقات الكبرى، الاستيعاب ٦٤٩ / ٢.

(٢) الإصابة لأبن حجر العسقلاني ٧٦ / ٢.

(٣) البداية والنهاية لأبن كثير ج ٩ ص ٢٥٤.

كان وجههاً، جميل الوجه والمظاهر، و«كان رضي الله عنه خيراً فاضلاً له دين وعبادة»^(١).

نعم كان له فضل العلماء وخير العباد الفقهاء الذين وَعْنُوا دينهم أحسن ما يعي المسلم، وكيف لا يعي دينه أحسن ما يكون وهو رجل من فقهاء المدينة السبعة؟!

وكان الرسول ﷺ قد وعد أنساً بالجنة من صفاتهم شاب دعته امرأة ذات مال وجمال فقال إني أخاف الله؛ وما لـ سليمان وهذه الصفة؟! نعم لقد مر سليمان بهذا الموقف الصعب، وهكذا إياته:

بينما كان سليمان في منزل الحجاج، وكان سليمان في ذلك الوقت قد أصبح فقيهاً عظيماً، وكما ذكرنا «وجيهاً جميلاً المظاهر والمنظر». وكان معه صاحب له، فقال لصاحبه: اذهب إلى سوق الحجاج كعادتك كل يوم واشتري لنا حاجاتنا، فانصرف الرجل لهذا الشأن، ولم تمض لحظات حتى جاءت سليمان امرأة حسنة، فقالت له: هيـت لك يا سليمان، وراودته عن نفسه، فما كان منه إلا أن راح ينظر إليها ويبكي، ويشتد بكاؤه، وكلما اقتربت منه تراجع وبكى واشتد بكاؤه، فذعرت السيدة وترجعت، ولما رأت ذلك منه انصرفت لشأنها^(٢).

(١) الاستيعاب للقرطبي.

(٢) الرواية وردت في ترجمة سليمان في البداية والنهاية لأبن كثير جـ ٩ ص ٢٥٤ مع تصرف قليل في مرد النص.

وجلس سليمان يبكي وجاء صاحبه فوجده يبكي، فقال له:
ما لك تبكي يا سليمان؟!
فأجراه سليمان:- خيراً إن شاء الله.

قال صاحبه:- لعلك ذكرت بعض ولدك أو بعض أهلك؟

قال: لا.

فألاعُ صاحبه قائلاً:- والله لتخبرني ما أبكاك أنت.

قال سليمان: أبكي من حزني على نفسي، ثم روى له
القصة.

ثم انصرف صاحبه وقام سليمان بن يسار من موضعه، فرأى
يوسف عليه السلام في المنام.

قال له سليمان: أنت يوسف؟

قال: نعم أنا يوسف الذي هممت، وأنت سليمان الذي لم
تهتم. استيقظ سليمان من نومه فرحاً مستبشرًا بهذه الرؤيا، التي
أحسن من خلالها أنه أحسن صنعاً، فاتقى الله في نفسه وفي
أعراض الناس وحقوقهم، وجاء صاحبه فقصّ عليه الرؤيا،
فروى كل هذا عنه.

هكذا كانت أخلاق الرجل.

اجتهد في العبادة، وأصبح فقيهاً يعدُّ من فقهاء المدينة
الأكابر، كان خيراً فاضلاً حريصاً على دينه، يعدُّ من أوائل

التابعين الذين اشتهروا بالرأي حتى قيل إن «سليمان أفهم من سعيد بن المسيب»^(١) كان بعضهم أحسن من بعض، كل له منهج في الرواية والرأي والفتيا، ولسنا في مجال مفاضلة بين هذا وذاك، وإنما نهجهم نهج سنة رسول الله ﷺ وفقه أصحابه الكرام.

— ٤ —

مع أم المؤمنين

السيدة ميمونة بنت الحارث الھلالية، آخر أمهات المؤمنين، كانت تقول عنها السيدة عائشة رضي الله عنها، «إنها والله كانت من أتقانا وأوصلنا للرحم»^(٢).

تزوجها رسول الله ﷺ وكانت أخت السيدة «أم الفضل لبابة بنت الحارث الھلالية» زوج العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وبنى بها صلوات الله وسلامه عليه في «سرف» قرب التعميم على مقربة من مكة المكرمة، وكان ذلك في شوال سنة سبع من الهجرة، واشتهر عنها من بين نساء النبي ﷺ أنها لم تكن طرفاً من خصومة في بيته ﷺ أو شجار شب في البيت المحمدي، ولها ستة وأربعون حديثاً رواها الأئمة الستة. وقد

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) الإصابة لأبي حمزة.

روى عنها عبد الله بن عباس ويزيد بن الأصم وجماجمة من التابعين، أشهرهم مولاها سليمان بن يسار.

كان سليمان مولى للسيدة أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، ثم أعتقه بعقد مكابية؛ لأن يؤدي لها مقداراً معلوماً من المال يسعى في تحصيله، ويعتق إذا أداه.

وإذا كان سليمان معاصرأ لواحدة من أمهات المؤمنين، وروى عنها وعن عائشة، فإننا نعتبره من أول طبقات التابعين في المدينة على الإطلاق.

ولشرك سليمان يتحدث عن موقف له مع السيدة عائشة أم المؤمنين فيقول: استأذتُ على عائشة فعرفت صوتي فقالت: أسليمان؟

قلت: سليمان.

قالت: أديت ما قاضيت عليه أو فاطعت عليه؟

قلت: بل لم يقع إلا يسير.

قالت: ادخل فإنك مملوك ما بقى عليك شيء^(١).

هكذا كان سليمان ربيب البيت النبوي في المدينة، كان ثقة لأهل بيته رسول الله وثقة في علمه وروايته، عالياً في علمه

(١) طبقات ابن سعد.

وفقهه، رفيعاً في رأيه وقياسه، ومستوى علمه، فقيهاً متبمراً، حتى إن معاصريه نظروا إليه نظرة خاصة من بين فقهاء المدينة السبعة، كان كثير الحديث، حافظاً له لم يكتفي بأمهات المؤمنين في الرواية عنهم، وإنما روى أيضاً عن عروة بن الزبير، وأبناء العباس بن عبد الله وعبد الله، وعبد الله بن عباس، وأبي واقد الليثي، بالإضافة إلى زيد بن ثابت الأنصاري، وعبد الله بن عمر.

تربي ونشأ وتعلم في عصر يُعد من أحسن عصور التابعين على الإطلاق فقد نشأ وتعلم وعاش في القرن الأول الهجري عايش الخلافة في أيدي عصورها ومجدها.

- ٥ -

مع علي بن أبي طالب

ظل سليمان في المدينة زمناً طويلاً، وجاء علي خليفة المسلمين. فسكن سليمان الكوفة في العراق، وابتلى بها داراً، وكان نزوله بها مع أول من نزل بها من المسلمين، وكان له سن عالية وشرف وقدر وكلمة في قومه. شهد شاهد كثيرة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها هو يقبل على علي بن أبي طالب فيبادره عليٌّ باسمٍ ضاحكاً ويقول:

يا سليمان: تنانأت (أي قصرت وعجزت) وترحبت،
وتربصت فكيف رأيت صنع الله؟

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين، إن الشوط بعيد، وقد يجيء
من الأمور ما تعرف به عدوك من حديفك.

شهد سليمان بن يسار صفين مع علي بن أبي طالب، وشارك
في المبارزة في هذا اليوم، ثم بعد وفاة علي بن أبي طالب
جعل داره في الكوفة مقرًا لعكابه الحسين بن علي بن أبي
طالب. وقد شارك في اجتماع مشهور حضره خمسة من زعماء
الشيعة في ذلك الوقت.

وبعد مقتل الحسين أيضاً فزع هؤلاء الخمسة إلى منزله،
وقد قصدوا منزله لأن له صحبة مع النبي صلوات الله عليه، وتصدّوا أيضاً
للمسيب بن نجية الغزارى أحد أصحاب علي بن أبي طالب
 وخيارهم.

وتم الاجتماع على أساس مناقشة الثأر للحسين بن علي بن
أبي طالب، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم كما زعموا
في مقتله إلا بقتل من قتله^(١)، أو القتل فيه، وتكلم في
الاجتماع المسيب، وأيد هذه الرؤية واستطرد الخطباء ومنهم
رفاعة بن شداد البجلي، عبد الله بن سعيد بن تقيل الأزدي
 وغيرهم ممن تشيعوا للحسين.

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٥٥٢.

ثم تحدث سليمان قائلاً: «فإني والله لخائف الا يكون آخرنا
إلى هذا الدهر الذي نكدرت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية
وشمل فيه الجور أولى الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، أنا
كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا، ونمنيهم النصر، ونحثهم
على القدوم»^(١).

واستطرد يقول: ولما قدموا تربصنا، وانتظرنا ما يكون
حتى قتل فينا ولد نبينا (يقصد الحسين)، إذ جعل يستصرخ فلا
يُصرخ^(٢).

ودعا سليمان إلى متأخرة من قتله فقال: «أشحدوا السيوف،
وركعوا الأسنة هروأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل»^(٣)، حتى تدعوا حين تدعون وستنفرون.

ولم يكتف سليمان بهذا بل كتب إلى والي المدائن في ذلك
الوقت وهو سعد بن حذيفة بن اليهان يدعوه لتأييد الخروج
للمطالبة بدم الحسين ومشاركته ذلك وكتب له رسالة طويلة،
اختتمها بالقول التالي:

«إن التقوى أفضل الزاد في الدنيا، وما سوى ذلك ببور ويفنى،
فلتعرف عنها أنفسكم، ولتكن رغباتكم في دار عافيتكم، وجهاد

(١) تاريخ الطبرى ج ٥ ص ٥٥٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٦٠.

عدو الله وعدوكم ، وعدو أهل بيتكم حتى تقدموا على الله
تائبين راغبين .

أحياناً الله وإياكم حياة طيبة ، وأجارنا وإياكم من النار ،
وجعل هنائنا قتلاً في سبيله على يدي البعض خلقه إليه
وأشدهم عداوة له ، إنه القدير على ما يشاء ، والصانع لأوليائه
من الأشياء ، والسلام عليكم «^(١)».

وجاء رد سعد بن حذيفة بن اليمان مؤيداً لرسالة سليمان
فقال في رسالة بعث بها إليه ردًا على رسالته :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِلَى سُلَيْمَانَ بْنَ حُرَيْدَ ، مِنْ
سَعْدِ بْنِ حَذِيفَةَ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، أَمَّا بَعْدُ ،
فَقَدْ قَرَأْنَا كِتَابَكُ ، وَفَهَمْنَا الَّذِي دَعَوْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي عَلَيْهِ
رَأْيُ الْمَلِإِ مِنْ إِخْرَانِكُ ، فَقَدْ هَدَيْتَ لِحَظَّكُ ، وَيَسَّرْتَ لِرَشْدِكُ
وَنَحْنُ جَادُونَ مَجْدُونَ ، مَعْدُونَ مُسْرَجُونَ مُلْجَمُونَ نَسْتَطِرُ الْأَمْرَ ،
وَنَسْتَمْعُ الدَّاعِيِ فَإِذَا جَاءَ الصَّرِيعُ أَقْبَلْنَا وَلَمْ نُعْرَجْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
وَالسلام»^(٢) .

وانتهت كل هذه المكاتبات والدعوات إلى خروج سليمان
ومعه المسيب بن نجية وأربعة آلاف مقاتل فالتقاهم عبد الله بن
زياد بمكان يسمى عين الوردة وسمى سليمان في هذا اليوم
بأمير التوابين لأنه وأصحابه تركوا القتال مع الحسين فلما قُتل

(١) تاريخ الطبراني ج ٥ ص ٥٥٧ .

(٢) المصدر السابق .

نَدَمْ هُوَ وَالْمُسِّبِ بْنُ نَجِيَةَ الْفَزَارِيِّ وَجَمِيعٌ مَنْ خَذَلَهُ إِذَا لَمْ
يَقَاتِلُوا مَعَ الْحُسَينِ، فَقَالُوا مَا لَنَا تُوبَةٌ مِمَّا فَعَلْنَا إِلَّا أَنْ نَقْتُلَ أَنفُسَنَا
فِي الْطَّلَبِ بِدَمِهِ. وَقَدْ عَسَكَرُوا فِي الْبَدَايَةِ بِالنَّخْبَلَةِ وَهُوَ مَكَانٌ
قَرِيبٌ مِنْ عَيْنِ الْوَرْدَةِ الَّذِي التَّقَى فِيهِ الْجَيْشَانِ بِقِيَادَةِ سَلِيمَانَ
وَأَصْحَابِهِ، وَجَيْشِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ بِقِيَادَةِ شَرَحْبِيلِ بْنِ ذِي
الْكَلَاعِ، وَتَقَاتَلَ النَّاسُ أَشَدَّ الْقَتَالِ وُقُتِلَ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَحَدُ فَقَهَاءِ
الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ سَلِيمَانَ بْنَ يَسَارٍ وَصَاحِبِهِ الْمُسِّبِ، وُقُتِلَهُ
يَزِيدُ بْنُ الْحُصَينِ بْنُ نَمِيرٍ حِينَما رَمَاهُ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وَحَمِلَتْ
رَأْسُهُ إِلَى صَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمَ الْخَلِيفَةَ آنَذاكَ.

وَكَانَ سَلِيمَانُ يَوْمَ قُتْلِ ابْنِ ثَلَاثَةِ وَتِسْعَينِ سَنَةٍ، نَلَاحِظُ أَنَّهُ
بِامْتِدَادِ هَذَا الْعُمُرِ قَدْ نَالَ قَسْطًا كَبِيرًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ، وَقَدْ طَالَتْ
سَنَوَاتُهُ كَثِيرًا فِي الْمَدِينَةِ، عَدُّ فِيهَا سَلِيمَانَ مِنْ فَقَهَاءِ الْمَدِينَةِ
السَّبْعَةِ، وَقَدْ كَانَ لَهُ لِقاءُ مَعِ عُمَرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عِنْدَمَا كَانَ
رَاعِيًّا لِسُوقِ الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرَّةِ فَالْتَّقَتِ الشَّهَامَةُ بِالْتَّقْوَىِ، وَالْإِيمَانِ
بِالصَّدَقِ، فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ وَبَيْنِ شَابِينَ كَانَ لَهُمَا شَأنٌ عَظِيمٌ
فِيمَا بَعْدِ، خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ الْخَامِسُ، وَفَقِيهٌ عَظِيمٌ مِنْ فَقَهَاءِ
الْمَدِينَةِ الْمَرْمُوقِينَ، وَكَانَ لَا شَتَّرَ إِلَيْهِ سَلِيمَانُ فِي أَحْدَاثِ الْفَتَنَةِ
فِي صَفَّيْنِ وَغَيْرِهَا تَحْفَظُ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، إِلَّا أَنَّ بِهَا الْمَوْقِفَ
لَمْ يُقْلِلْ مِنْ دُورِ سَلِيمَانَ عِنْدَمَا كَانَ فَقِيهًا، وَلَقَدْ خَرَجَ إِلَى الْكُوفَةِ
وَقَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ شَوْطًا طَويَّلًا. رَحِمَ اللَّهُ سَلِيمَانَ شِيخَ الْمَدِينَةِ
وَفَقِيهَهَا فَقَدْ كَانَ لَهُ سَنَعَالَةٌ وَشَرْفٌ وَقَدْرٌ، وَكَانَ خَيْرًا فَاضِلًا.